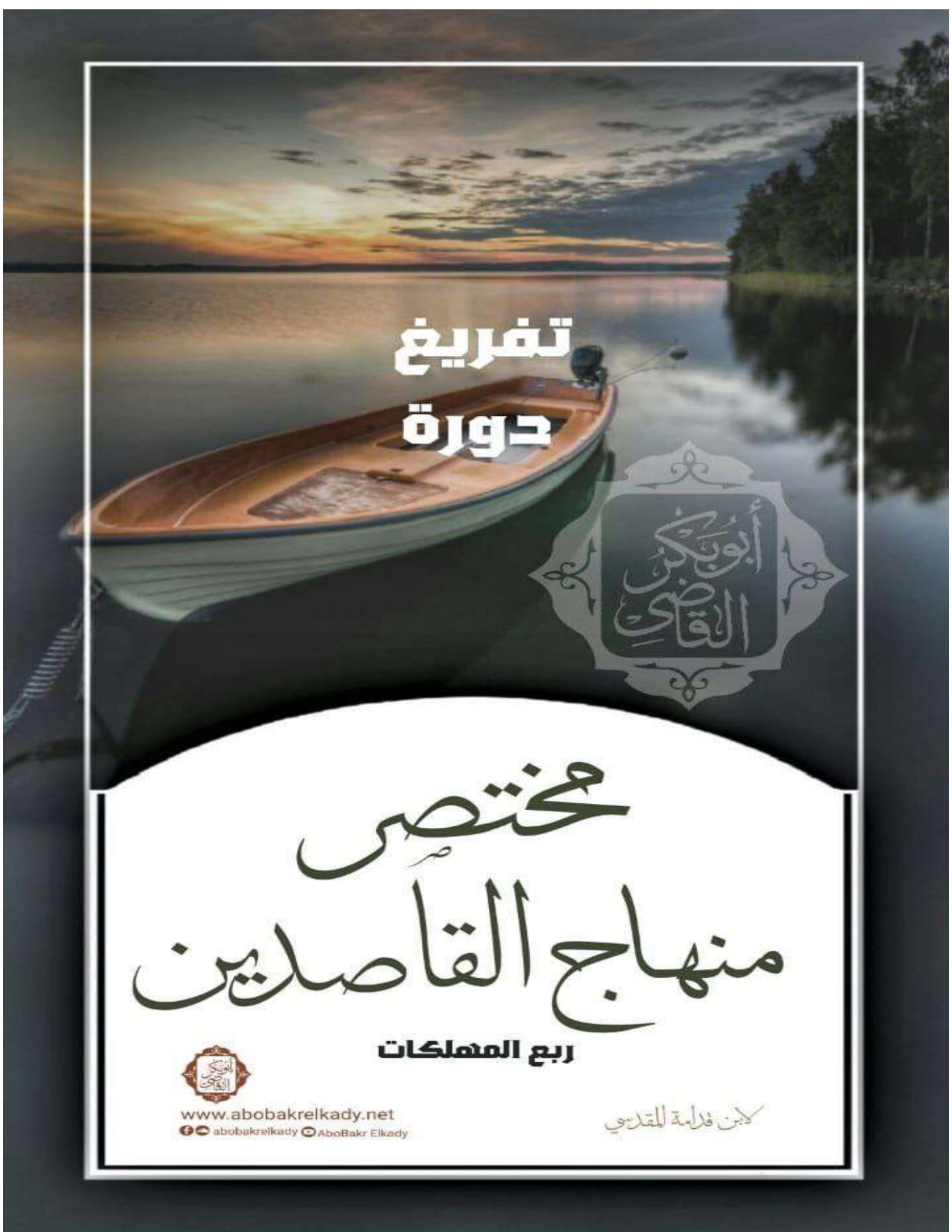

تفريغ

دورة

أبو بكر القاضي

مختصر منهاج القاصدين

ربع المهلكات

لابن قدامة المقدسي

www.abobakrelkady.net

abobakrelkady AboBakr Elkady

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ثمّ أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار، ثمّ أما بعد:

قال في مختصر منهاج القاصدين:

∴ باب في ذم البخل والحرص والطمع، وذم المال ومدحه.

قال: "اعلم أن المال لا يذم لذاته".

- إذًا فالمال لا يذم بذاته؛ لأن المال في الحقيقة خادم -وسيلة-، إنما يذم المخدوم أو المقصد الذي يقصده منه صاحبه.

قال: "بل يقع الذم لمعنى من الآدمي، وذلك المعنى:

- إما شدة حرصه عليه.
- أو تناوله من غير حِله: أي يأخذه من الحرام.
- أو حبسه عن حقه: بأن يشح به ويبخل به عن الحق.
- أوإخراجه في غير وجهه: أنه يبذره أو يسرف في غير وجهه.
- أو المفاخرة به: وهذا يصب في مرض القلب.

ولهذا قال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} [الأنفال:٢٨] ابتلاء وامتحان.

قال: "وفي سنن الترمذي، عن النبي ﷺ أنه قال: "ما ذِئبانِ جائعانِ أُرْسِلا في غنَمٍ ، بأفسدَ لَها من حِرصِ المَرءِ علَى المالِ والشَّرَفِ لدينِهِ" [صحيح الترمذي].

"وقد كان السلف يخافون من فتنة المال".

- طبعاً "الشرف لدينه" هذه ستأتي في الكتاب الجاي، ولكن دعونا الآن في حرص المرء على المال.

قال: "كان السلف يخافون فتنة المال، وكان عمر -رضي الله عنه- إذا رأى الفتوح يبكي ويقول: "ما حبس الله هذا عن نبيه ﷺ وعن أبي بكر لشر أراده الله بهما، وأعطاه عمر إرادة الخير له".

وقال يحيى بن معاذ: "الدرهم عقرب، فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه؛ فإنه إن لدغك قتلك سُمُه. قيل: ما رقيته؟ قال: أخذه من حله ووضعه في حقه".

- وهذا يحتاج إلى انصاف من النفس، وقهر لشهواتها وحظوظها المتطاولة.

قال: "مصيبتان العبد في ماله عند موته لا تسمع الخلائق بمثلهما، قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله".

- يعني يؤخذ منه كله ويتمتع به غيره، ويسأل عنه كله درهم درهم؛ لأنه هو الذي اشتراه. فانتقاله بالتوريث لغيره حلال، لكن الإشكال أنه سيسأل عنه كله، فإنه هو الذي أتى به.

قال: بيان مدح المال

قال: "قد بينا أن المال لا يذم لذاته بل ينبغي أن يمدح؛ لأنه سبب للتوصل إلى مصالح الدين والدنيا، وقد سماه الله تعالى خيرًا، وهو قوام الآدمي".

- قال الله تعالى في أول سورة النساء: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا} [النساء:٥].
- إذن جعلها الله تبارك وتعالى لكم قيامًا.

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: "لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حِله يكف به وجهه عن الناس، ويصل منه رحمه ويعطي منه حقه ".

- أي لا يظل يسأل الناس ويشحت منهم، فالمال مفيد في الحقيقة إن وظف في وظيفته.

قال أبو اسحاق السبيع: "كانوا يرون السعة عونًا على الدين".

وقال سفيان: "المال في زماننا هذا سلاح المؤمن".

وحاصل الأمر أن المال مثل حية فيها سُم وترياق: فالترياق فوائده، وغوائله سمه. فمن عرف فوائده وغوائله؛ أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره".

- انتبه واعرف هذا الأمر: اعرف أن فيه فوائد وفيه سموم وفيه أضرار.
  تأخذ الفوائد وتترك الأضرار، تجني العسل ولا تكسر الخلية.

قال: "أما فوائده فتنقسم إلى: دنيوية ودينية.

- أما الدنيوية: فالخلق يعرفونها، ولذلك تهالكوا في طلبها -هو الوصول إلى الملذات-.
- وأما الدينية: فتنحصر في ثلاثة أنواع:

١) **أحدها:** أن ينفقه على نفسه في عبادة كالحج، والجهاد.

وإما في الاستعانة على العبادة كالمطعم، والملبس، والمسكن وغيرها من ضرورات المعيشة، فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر لم يتفرغ القلب للدين والعبادة. وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به؛ فهو عبادة، فأخذ الكفاية من الدنيا للاستعانة به على الدين من النوافل الدينية، ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة، فإن ذلك من حظوظ الدنيا.

٢) **النوع الثاني:** ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام: -

- أحدها: الصدقة، وفضائلها كثيرة مشهورة.
- والقسم الثاني: المروءة، ونعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة ونحو ذلك، وهذا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء.
- القسم الثالث: وقاية العرض نحو بذل المال لدفع هجو الشعراء، وسب السفهاء وقطع ألسنتهم، وكف شرهم -أي السمعة-، فهو من الفوائد الدينية.

فإن النبي ﷺ قال: "وما وقَى بهِ المرءُ عِرضَهُ كُتِبَ لهُ بهِ صدقةً" [ضعيف الترغيب].

وهذا لأنه يمنع المغتاب من معصية الغيبة، ويحرز مما يثير كلامه من العداوة التي تحمل في الانتقام على مجاوزة حدود الشريعة.

- القسم الرابع: ما يعطيه أجرًا على الاستخدام، فإن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابها كثيرة، ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة.

- بمعنى هين قرشك ولا تهين نفسك، واستخدم هذا المال في تفريغ وقتك وذهنك.

قال: "بالفكر والذكر الذين هما أعلى مقامات السالك، ومن لا مال له يفتقر إلى تولي خدمة نفسه بنفسه. فكل ما يتصور أن يقوم به غيرك، ويحصل بذلك غرضك فإن تشاغلك به غبن؛ لأن احتياجك إلى التشاغل بما لا يقوم به غيرك من العلم والعمل والذكر والفكر أشد".

- فالفوائد قلنا: دنيوية ودينية، وتنحصر الدينية في ثلاثة أنواع:

أن ينفقه على نفسه، وأن يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام.

٣) **النوع الثالث:** ما لا يصرفه الإنسان إلى معين لكن يحصل به خيرًا عامًا: كبناء المساجد، والقناطر، والوقوف المؤبدة فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر، والعزة بين الخلق والكرامة في القلوب والوقار.

➢ **وأما غوائل المال وآفاته**، فتنقسم أيضًا إلى دينية ودنيوية:

أما الدينية، فثلاث فئات:

- انتبه إلى الغوائل والأضرار الدينية.

I. الأولى: أنه يجر إلى المعاصي غالبًا؛ لأن من استشعر القدرة على المعصية انبعثت داعيته إليها، والمال نوع من القدرة يحرك داعيته إلى المعاصي.

قال: ومتى يئس الإنسان من المعصية لم تتحرك داعيته إليها، ومن العصمة ألا تجد.

فصاحب القدرة إن اقتحم ما يشتهي هلك، وإن صبر لقي شدة في معاناة الصبر مع القدرة، وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء".

- بلذلك الراجح أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر؛ لأنه يجد قدرة على المعصية ويحجم نفسه عنها، فضلًا عن الخير المتعدي الذي ذكرناه.

II. قال الثانية: أنه يحرك إلى التنعم في المباحات حتى يصير له عادة وإلفا، فلا يصبر عنها. وربما لم يقدر على استدامتها إلا بكسب فيه شبهة؛ فيقتحم الشبهات ويترقى إلى آفات من المداهنة والنفاق؛ لأن من كثر ماله خالط الناس، وإذا خالطهم لم يسلم من نفاق وعداوة، وحسد وغيبة، وكل ذلك من الحاجة إلى صلاح المال.

III. قال الثالثة: وهي التي لا ينفك عنها أحد، وهو أن يلهيه ماله عن ذكر الله تعالى، وهذا هو الداء العضال. فإن أصل العبادات ذكر الله تعالى، والتفكر في جلاله وعظمته، وذلك يستدعي قلبًا فارغًا.

وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرًا في خصومة الفلاحين ومحاسبتهم وخيانتهم، ويتفكر في منازعة الشركاء في الحدود والماء، وأعوان السلطان في الخراج والأجراء على التقصير في العمارة ونحو ذلك.

وصاحب التجارة يمسي ويصبح متفكرًا في خيانة شريكه وتقصيره في العمل وتضييعه المال. وكذا سائر أصناف المال، حتى صاحب المال المجموع المكنوز يفكر في كيفية حفظه، وفي الخوف عليه -أي مشغلة.

ومن له قوت يوم بيوم؛ فهو في سلامة من جميع ذلك، وهذا سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن، والهم، والغم، والتعب.

فإذًا ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي للخيرات، وما عدا ذلك سموم وآفات.

وهو الكفاف.

- "اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا" [صحيح البخاري] أي يكفي يومًا بيوم.

وهذا ينبغي أن يكون المؤمن والمحسن والسائر إلى الله عز وجل أن يكون همه يومه، فلا يطول أمله وينشغل بهموم الدنيا وغمومها، بل يومك. فإنك لا تدري ما اسمك غدًا يا عبد الله، كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "إن أصبحت فلا تنتظر المساء، وإن أمسيت فلا تنتظر الصباح، فخذ من حياتك لموتك، ومن صحتك لسقمك، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدًا".

قال: **بيان ذم الحرص والطمع، ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس**

اعلم: أن الفقر محمود، ولكن ينبغي للفقير أن يكون قانعًا منقطع الطمع عن الخلق، غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريص على اكتساب المال كيف كان، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس.

وقد روي في صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بما آتَاهُ" [صحيح مسلم].

- فالإشكالية كلها في ماذا؟ " وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بما آتَاهُ " وهي القناعة، هي الغنى الحقيقي، الغنى العالي لله تبارك وتعالى.

" ليسَ الغِنَى عن كَثْرَةِ العَرَضِ، ولَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ" كما قال ﷺ [صحيح البخاري].

وقال سليمان بن داود عليهما السلام: "قد جربنا العيش كله لينه من شديده، فوجدناه يكفي منه أدناه".

وفي حديث جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: {القناعة مال لا ينفد} [حديث ضعيف ولكن معناه في الجملة صحيح].

قال أبو حازم: "ثلاث من كن فيه كمل العقل: من عرف نفسه، وحفظ لسانه، وقنع بما رزقه الله عز وجل".

وقال بعض الحكماء: "أنت أخو العز ما التحفت بالقناعة".

أما الحرص: فقد نهى عنه رسول الله ﷺ فقال: "أيها الناس، أجملوا في الطلب، فإنه ليس للعبد إلا ما كتب له".

ونهى عن الطمع، فقال ﷺ: "أجمِعِ اليَأْسَ عمَّا في أيدي النَّاسِ" [صحيح ابن ماجه].

ولذلك قال عمر رضي الله عنه: "الطمع فقر، واليأس غنى" المقصود اليأس مما في أيدي الناس.

وقال بعضهم: لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشك في المقدور، ولو قيل له: ما حرفتك؟ قال: اكتساب الذل، ولو قيل له: ما غايتك؟ قال: الحرمان.

وقيل: الطمع يذل الأمير، واليأس يعز الفقير. أي يجعل نفس الفقير عزيزة أبية.

∴ قال: بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي تكتسب به صفة القناعة

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان:- الصبر، والعلم، والعمل.

ومجموع ذلك خمسة أمور:

- **الأول:** الاقتصاد في المعيشة، والرفق في الإنفاق. فمن أراد القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه، ويرد نفسه إلى ما لا بد له منه -الضرورات-، فيقنع بأي طعام كان، وقليل من الإدام وثوب واحد، ويوطن نفسه على ذلك، وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر.

- إذًا الأصل: ألا أربط نفسي وأعلق نفسي بأشياء غير ضرورية، فكثرة هذه الأشياء وكثرة هذه التفاصيل تؤدي إلى أن تعيش عيشة في مستوى معين يتطلب منك عملًا زائدًا، واستغراقًا في العمل، واستغراقًا في كسب المال.

"قال النبي ﷺ: "ما عال من اقتصد " [غير صحيح]

ما عال من اقتصد: أي ما فتقر.

وفي حديث آخر: " التدبيرُ نِصْفُ العَيْشِ " [حديث ضعيف].

وفي حديث آخر: "ثلاث منجيات: فالعدْلُ في الغضَبِ والرِّضا، والقصْدُ في الفقْرِ والغِنى، وخشيةُ اللهِ تعالَى في السِّرِّ والعلانيةِ" [صحيح الجامع].

- هذا الاقتصاد فيه قدر من مجاهدة النفس على الضرورات والحاجيات، والتقلل من التحسينيات.

قال:

- **الثاني:** إذا تيسر له في الحال ما يكفيه، فلا يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل، ويعينه على ذلك قصر الأمل واليقين بأن رزقه لا بد أن يأتيه، وليعلم أن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء. أي: بالبخل.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إنَّ رُوحَ القُدُسِ نفثَ في رُوعِي ، أنَّ نفسًا لَن تموتَ حتَّى تستكمِلَ أجلَها ، وتستوعِبَ رزقَها ، فاتَّقوا اللهَ ، وأجمِلُوا في الطَّلَبِ ، ولا يَحمِلَنَّ أحدَكم استبطاءُ الرِّزقِ أن يطلُبَه بمَعصيةِ اللهِ ، فإنَّ اللهَ تعالى لا يُنالُ ما عندَه إلَّا بِطاعَتِهِ" [صحيح الجامع].

وإذا انسد عنه باب كان ينتظر الرزق منه؛ فلا ينبغي أن يضطرب قلبه، فإن في الحديث: "أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب".

- بعد الاقتصاد وبعد اليقين فيما عند الله عز وجل، وحسن التوكل عليه تبارك وتعالى.

قال:

- **الثالث:** القناعة. أن يعرف ما في القناعة من عز الإستغناء، وما في الطمع والحرص من الذل. وليس في القناعة إلا الصبر عن المشتهيات والفضول، مع ما يحصل له من ثواب الآخرة، ومن لم يؤثر عز نفسه عن شهوته؛ فهو ركيك العقل ناقص الإيمان.

- **الرابع:** أن يكثر تفكره في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى منهم، ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء والصالحين، ويسمع أحاديثهم.

- لأن الأرزاق مقسمة، وعقل الإنسان ودينه من رزقه؛ لأن الرزق ليس كله مال. والأحمق الذي قد حرم من العقل والتفكر والتأمل والحكمة فإنه يوسع له في رزق في جانب آخرمن الرزق.

قال: "ويطالع أحوالهم، ويخير عقله بين مشابهة أراذل العالمين، أو صفوة الخلق عند الله تعالى، حتى يهون عليه الصبر على القليل والقناعة باليسير، وأنه إن تنعم بالأكل فالبهيمة أكثر أكلا منه، وإن تنعم بالوطء فالعصفور أكثر سفادًا منه"

- السفاد: يكنى به عن الجماع.

قال:

- **الخامس:** أن يفهم ما في جمع المال من الخطر، كما ذكرنا في آفات المال، وينظر إلى ثواب الفقر، ويتم ذلك بأن ينظر أبدًا من دونه في الدنيا، وإلى من فوقه في الدين، كما جاء في الحديث من رواية مسلم أن رسول الله ﷺ قال: " انْظُرُوا إلى مَن أسْفَلَ مِنكُمْ، ولا تَنْظُرُوا إلى مَن هو فَوْقَكُمْ، فَهو أجْدَرُ أنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ علَيْكُم" [صحيح مسلم].

وعماد الأمر: الصبر وقصر الأمل، وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل لتمتع دائم، فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لما يرجو من الشفاء.

- يوجد باب في صحيح البخاري في كتاب الرقاق اسمه باب "فضل الفقر"، ويوجد أيضًا باب في "صيد الخاطر" لابن الجوزي رحمه الله باب " فضل الغنى" فليرجع إليه حتى يكون التوازن.

وابن القيم رحمه الله في عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين توسع جدًا في المقارنة بين الغني الشاكر والفقير الصابر، وبَيَّنَ أوجه تفضيل هذا وأوجه تفضيل هذا، ولم يرجح في الحقيقة إنما ننقل نحن ترجيح بعض أهل العلم كالشيخ "أبي اسحاق الحويني" وغيره أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر لخيره المتعدي.

قال:

❖ **فصل: [في لزوم القناعة لمن فقد المال]**

ينبغي لمن فقد المال أن يستعمل القناعة -كما ذكرنا-، ولمن وجده يستعمل السخاء والإيثار واصطناع المعروف، فإن السخاء من أخلاق الأنبياء وهو أصل من أصول النجاة.

وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: "قال جبريل عليه السلام، قال الله عز وجل: {الإسلام دين ارتضيته لنفسي، ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه} [سنده ضعيف]

وفي حديث آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: " تجافوا عن ذنوب السخي، فإن الله آخذ بيده كلما عثر" [حديث جميل ولكنه ضعيف].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بعبادة ولا بصيام، ولكن دخلوها بسخاء النفس، وسلامة الصدر، والنصح للمسلمين" [حديث جميل ولكنه ضعيف]

قال: وفي حديث آخر: " عليكم باصطناع المعروف، فإنه يمنع مصارع السوء"

- له شاهد من حديث آخر:" صَنائعُ المعروفِ تَقِي مَصارعَ السُّوءِ" [صحيح الجامع].

قال ابن السماك: "عجبت مما يشتري مماليك بماله، كيف لا يشتري الأحرار بمعروفه؟!".

- المعروف تشتري به قلوب الأحرار فينتمون به إليك ويوالونك به.

قال: ومن حكايات الأسخياء:

قد صح عن النبي ﷺ أنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة، وأنه ما سئل شيئًا قط فقال لا، وأن رجلًا سأله، فأعطاه غنمًا بين جبلين، فأتى الرجل قومه، فقال: يا قوم: أسلموا، فإن محمدًا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر.

وقيل: كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم، فخرج إلى المسجد فقال له طلحة: "قد تهيأ مالك فاقبضه، فقال: هو لك يا أبا محمد معونة على مروءتك".

وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله، وتعرف إليه برحم، فقال: "إن هذه الرحم ما سألني بها أحد قبلك"، فأعطاه ثلاثمائة ألف درهم.

وقال عروة: "رأيت عائشة رضي الله عنها وهي تقسم سبعين ألفًا وهي تُرقع درعها"

يعني: ترتدي درع مرقع وهي تقسم الأموال .

وروي أنها قسمت في يوم ثمانين ومائة ألف بين الناس، فلما أمست قالت: "يا جارية عليّ فطوري" فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم درة: "أما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟! فقالت: لو ذكرتني لفعلت".

واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة داره التي في السوق بتسعين ألف درهم، فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد، فقال لأهله: "ما لهؤلاء؟! قال: يبكون على دارهم. قال: يا غلام ائتهم فأعلمهم أن الدار والمال لهم جميعًا".

وبعث رجل إلى عبد الله أنه قد وصف لي لبن البقر، فابعث إليّ البقرة أشرب من لبنها، فبعث إليه بسبعمائة بقرة ورعاتها وقال: "القرية التي كانت ترعى فيها لك".

- سبحان الله سخاء عجيب !

ودخل علي بن الحسن على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل يبكي فقال: ما شأنك؟ قال: عليَّ دَين. قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، أو بضعة عشر ألف دينار. قال: فهي عليّ.

وجاء رجل إلى معن فسأله، ولا يعرفه معن، فقال: يا غلام ناقتي الفلانية وألف دينار، فدفعها إليه وهو لا يعرفه.

وبلغنا عن معن أن شاعرًا أقام ببابه مدة، فلم يتهيأ له لقاؤه فقال لبعض خدمه: إذا دخل الأمير البستان فعرفني. قال: فلما دخل عرفه، فكتب الشاعر بيتًا على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان، فلما بصر معن بالخشبة أخذها فإذا فيها مكتوب:

أيا جودَ معنٍ ناجِ معناً بحاجتي

فليس إلى معنٍ سواك رسولُ

- هو يكلم الجود يشفع عند معن أن يعطيه حاجته.

فقال: من صاحب هذه؟ فدعا الرجل فقال له: كيف قلت؟ فقال له. فأمر له بعشر بِدَر - البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم-. فأخذها ووضع الأمير الخشب تحت بساطه. فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأ ما فيها ودعا الرجل، فدفع إليه مائة ألف درهم أخرى. فلما أخذها الرجل خاف أن يعود فيستعيدها منه فخرج. فلما كان اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا الرجل فطلب فلم يوجد، فقال معن: حق علي أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار.

- كان عنده مروءة وشهامة وفتوة.

ومرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطئ إخوانه، فقيل: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين. أي: أنهم لا يريدون زيارتك لأن لك عليهم ديون. فقال: أخزى الله ما لا يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديًا فنادى: من كان عليه لقيس حقٌ فهو منه في حل، قال: فكسرت درجته بالعشي من كثرة من عاده.

وقام رجل إلى سعيد بن العاص يسأله، فأمر له بمائة ألف درهم، فبكى، فقال سعيد: ما يبكيك؟! قال: أبكي على الأرض أن تأكل مثلك، فأمر له بمائة ألف أخرى.

- سبحان الله ! وفعلًا هذه هي النهاية أن الأرض تأكل الجميع، والتراب يأكل الجميع، والذي يبقى الذكر الحسن، والذي يبقى الأجر عند الله تبارك وتعالى. وهذا لا يتأتى إلا من الغنى والقناعة والإيثار والسخاء والبذل والعطاء.
- قال تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ} [الليل:٥-٧]

قال:

❖ **فصل: في البخل وذمه**

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ:" خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق".

وقال ﷺ: " لا يجتَمِعُ الشُّحُّ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبدًا" [صحيح النسائيوفي أفراد مسلم عن النبي ﷺ أنه

كان يقول: " اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ البُخْلِ والجُبْنِ" [صحيح البخاري]

وروى جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لبني سلمة: "من سيدكم؟ قال: جد بن قيس، على أنَّا نبخّله. قال: "وأي داء أدوء من البخل؟! بل سيدكم بشر بن البراء بن معرور"، وهي أصح ما من ذكر عمرو بن الجموح وغلط بعض الرواة فقال: البراء بن معرور، والبراء مات قبل الهجرة.

- هو بشر البراء المعروف، يبقى البخل لا يجتمع مع السيادة.

وعن النبي ﷺ قال: "ثلاث مهلِكاتُ: فشُحٌّ مُطاعٌ، وهَوًى مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المرْءِ بنفْسِهِ" [صحيح الجامع].

قال الخطابي: "الشح في المنع أبلغ من البخل".

- الشح أشد في المنع وهو التطلع لما في يد الناس، وليس فقط الحرص على ما في اليد.

وقال سلمان الفارسي: "إذا مات السخي قالت الأرض والحفظة: ربي تجاوز عن عبدك بسخائه في الدنيا، وإذا مات البخيل قالت: اللهم احجب هذا العبد عن الجنة كما حجب عبادك عما جعلت في يديه من الدنيا".

وقال بعض الحكماء: "من كان بخيلًا ورث ماله عدوه".

ووصف أعرابي رجلًا فقال: "لقد صغر في عيني لعظم الدنيا في عينه".

- فيحرص عليها أشد فيبخل.

وذم أعرابي قومًا فقال: "يصومون عن المعروف ويفطرون على الفواحش".

- يصومون على المعروف لبخلهم.

قال: **من حكايات البخلاء:-**

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان الحاجب رجلًا من أجل العرب، وكان بخيلًا، وكان لا يوقد نارًا بليل كراهة أن يراها راء فينتفع بضوئها، فإذا احتاج إلى إيقادها فأوقد، ثم بصر بمستضيئ بها أطفأها".

- حتى النور!

وقيل: "كان مروان بن أبي حفصة من أبخل الناس، فخرج يريد المهدي -وهو أمير المؤمنين-، فقالت له امرأته: ما لي عليك إن رجعت بالجائزة؟ قال: إن أعطيت مائة ألف درهم، أعطيتك درهما، فأعطى ستين ألف درهم. فأعطاها أربعة دوانق".

- جزء من الدرهم.

وقيل: "كان بعض البخلاء موسرًا، وكان ينظر في دقائق الأشياء، فاشترى شيئًا من الحوائج ودعا حمالًا فقال: بكم تحمل هذه الحوائج؟ قال: بحبة، قال: أبخس. قال: ما أقل من حبة؟ لا أدري ما أقول! قال: نشتري بالحبة جزرة ونجلس جميعًا فنأكله".

قال:

❖ **فصل: في فضل الإيثاروبيانه**

- طبعًا منزلة الإيثار في مدارج السالكين من أروع ما سطر ابن القيم رحمه الله.

قال: اعلم أن السخاء والبخل درجات.

فأرفع درجات السخاء: الإيثار، وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه.

وأشد درجات البخل: أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة.

فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل!

فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة، وبين من يؤثر على نفسه مع الحاجة!

فالأخلاق عطايا -أرزاق- يضعها الله حيث يشاء، وليس بعد الإيثار درجة في السخاء.

وقد أثنى الله تعالى على أصحاب رسول الله ﷺ بالإيثار فقال: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر:٩].

وكان سبب نزول هذه الآية قصة أبي طلحة لما آثر ذلك رجلًا مشهودًا بقوته وقوة صبيانه".

- نومتهم أم طلحة وجعلا يمثلان أو يحركان أفواههم كأنهما يأكلان، وهم لا يأكلون في الحقيقة؛ فضحك الله من صنيعهما.

قال: واستشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وجماعة من بني المغيرة، فأتوا بماء وهم صرعى فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه.

أتى عكرمة بالماء فنظر إلى سهيل بن عمرو ينظر إليه، فقال: ابدأ بهذا، ونظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه، فقال: ابدأ بهذا، وكل منهم يؤثر الآخر على نفسه بالشربة، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن الوليد فقال: بنفسي أنتم.

وأهدى إلى الرجل من الصحابة رضى الله عنه رأس شاة، فقال: إن أخي أحوج إليه منى، فبعث به إلى الرجل، فبعث به ذلك إلى آخر، حتى تداولته سبع أبيات، فرجع إلى الأول.

وخرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له، فنزل على نخل لقوم فيها غلام أسود يعمل فيها، إذ أتى الغلام بقوته، فدخل الحائط كلب، فدنا من الغلام فرمى إليه قرصًا فأكله، ثم رمى إليه قرصًا آخر فأكله، ثم رمى إليه ثالث فأكله، وعبد الله ينظر فقال: يا غلام! كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت، قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟ قال: ماهى بأرض كلاب، جاء من مسافة بعيدة جائعًا فكرهت رده، قال: فما أنت صانع؟ قال: أطوي يومي هذا، فقال عبد الله بن جعفر: ألام على السخاء وهذا أسخى منى، فاشترى الحائط وما فيه من الآلات، واشترى الغلام وأعتقه ووهبه له.

- هذه جائزة وعاقبة السخاء.

واجتمع جماعة من الفقراء في موضع لهم وبين أيديهم أرغفة معدودة لا تكفيهم فكسروا الرغفان، وأطفؤوا السراج، وجلسوا للأكل، فلما رفع الطعام، إذا هو بحاله، لم يأكل أحد منهم شيئًا إيثارًا لأصحابه.

- سبحان الله !

قال:

❖ **فصل: في حد البخل والسخاء.**

وقد تكلم الناس في حد البخل والسخاء، فذهب قوم إلى أن حد البخل منع الواجب، وأن من أدى ما يجب عليه، فليس ببخيل، وهذا غير كاف، فإن من لم يسلم إلى عياله إلا القدر الذي يفرضه الحاكم، ثم يضايقهم في زيادة لقمة أو ثمرة فإنه معدود من البخلاء، فالصحيح أن البراءة من البخل تحصل بفعل الواجب في الشرع واللازم بطريق المروءة مع طيب القلب بالبذل.

فأما الواجب في الشرع؛ فهو الزكاة ونفقة العيال.

وأما اللازم بطريق المروءة، فهو ترك المضايقة، والاستقصاء عن المحقرات فإن ذلك يستقبح، ويختلف ذلك باختلاف الأحوال والأشخاص.

فقد يستقبح من الغنى ما لا يستقبح من الفقير، ويستقبح من الرجل المضايقة لأهله وأقاربه وجيرانه ما لا يستقبح من الأجانب، فالبخيل الذي يمنع مالا ينبغي أن يمنع، إما بحكم الشرع أو لازم المروءة. ومن قام بواجب الشرع، ولازم المروءة، فقد تبرأ من البخل، لكن لا يتصف بصفة الجود مالم يبذل زيادة على ذلك.

- الواجب معروف، والمروءة تختلف باختلاف الأعراف في كل عصر ومصر.

قال بعضهم: الجواد: هو الذي يعطى بلا من. وقيل: هو الذي يفرح بالإعطاء. فأما علاج البخل، فاعلم أن سبب البخل حب المال.

- الفرح بالعطاء هو الجود في الحقيقة، والمَن دليل على كراهية العطاء، وتعلق القلب بهذا الذي أخرج ولذلك يريد أن يأخذ مقابله إما جاها وإما خدمة حقيقية.

قال: حب المال له سببان:-

- **أحدهما:** حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل، وإن كان قصير الأمل وله ولد، فإنه يقوم مقام طول الأمل.
- **الثاني:** أن يحب عين المال، فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره لو اقتصر على ما جرت عادته به، ويفضل معه آلاف، ويكون شيخًا لا ولد له، ثم لا تسمح نفسه بإخراج الواجب عليه، ولا بصدقة تنفعه، ويعلم أنه إذا مات أخذه أعداؤه، أو ضاع إن كان مدفونًا، وهذا مرض لا يرجى علاجه.
- مثل هذا الذي يغمى عليه ويظل يعد ماله ليل نهار.

ومثال ذلك: ومثال ذلك رجل أحب شخصًا، فلما جاء رسوله، أحب الرسول ونسى محبوبه واشتغل بالرسول، فإن الدنيا رسول مبلغ إلى الحاجات، فيحب الدنانير لذاتها، وينسى الحاجات، وهذا غاية الضلال.

- وقد قلنا: إن المال خادم ينبغي علينا أن نستخدمه في المكان الصحيح.

قال: "واعلم أن علاج كل علة بمضادة سببها.

- فيعالج حب الشهوات: بالقناعة والصبر.
- وطول الأمل: بكثرة ذكر الموت.
- ويعالج التفات القلب إلى الولد: بأن من خلقه خلق معه رزقه، وكم ممن لم يرث شيئًا أحسن حالًا ممن ورث.

فليحذر أن يترك لولده الخير، ويقدم على الله بشر، فإن ولده إن كان صالحًا فالله يتولاه".

- كما قال: عمر بن عبد العزيز لأولاده: إن كنتم صالحين فالله يتولى الصالحين، وإن كنتم فاسقين فما كنت لأترك مالًا يعان به على معصية الله.

"وإن كان فاسقًا فلا يترك له ما يستعين به على المعاصي. وليردد على سمعه ما ذكرناه في ذم البخل ومدح السخاء".

- وهذا الأمر أيضًا يحتاج إلى مجاهدة النفس في أن ليس كل ما يشتهيه يشتريه، ويجاهد مسألة الشهوات الداخلية بالقناعة والصبر.

"واعلم: أنه إذا كثرت المحبوبات في الدنيا، كثرت المصائب بفقدها، فمن عرف آفة المال لم يأنس به، ومن لم يأخذ منه إلا قدر حاجته، وأمسك ذلك لحاجته فليس ببخيل، والله أعلم".

- تعلق القلب هو الضابط، فرح القلب بالعطاء والبذل، وعدم تعلق القلب بالمال بل أن يأخذ المال كوسيلة لقضاء ضروراته وحاجياته ولا يكثر في الفضول والتحسينيات.

ويكون همه منشغل بأمر الآخرة، ينظر إلى من هو فوقه في الدين ولا ينظر إلى من هو فوقه في الدنيا؛ هذا يكون على درب الأتقياء والمؤثرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وعلى درب أيضًا الذين تبرأوا من داء البخل.